نظر في اكتشاف غريب

لاثر قديم عجيب

للاب لويس شيخو اليسوعي

صدَّرت جريدة لسان الحال عددها البارز في ٢٨ نيسان المنصرم بنبذة تحت العنوان « اثر قديم عجيب » قالت فيها ما نصُّهُ : « نقلت الليڤانت عن جريدة برودوس الخبر الغريب الآتي وهو : بلغنا انهم اكتشفوا في مكتبة الاباء المازاريين في رومية على رسالة اذا كانت صحيحة كان لها اهمّيَّة عظيمة في التاريخ وهذه الرسالة كتبها بيلاطوس لتيبليوس الحاكم قبل بيلاطس البنطي وهي مكتوبة باللغة اللاتينيَّة أيام بدأ سيدنا يسوع المسيح عليهِ السلام يكرز على الناس ويهديهم بمواعظهِ » . ثم الحقت الجريدة هذا الخبر بترجمة الرسالة نرويها هنا بحرفها الواحد :

الى القيصر الروماني

بلغني يا حضرة القيصر انك تريد ان تقف على ما اكتبهُ اليك الآن عن الرجل الكثير الصلاح المسمى بيسوع المسيح فان الاهالي يعتبرونهُ نبيًّا وينظرون اليهِ كاله وتلامذتهُ يقولون انهُ ابن الله خالق السماوات والارض وكل ما هو موجود

والحقّ اقولهُ لك يا حضرة القيصر انا في كل يوم نسمع بعجائب غرائب عن هذا الرجل فهو يكلمة واحدة يحيي الموتى وبكلمة واحدة يشفي المرضى وهو معتدل القامة « ربعة » ذو منظر حسن سلوه مهابة وجلالًا لا سيما في ملامح وجههِ بحيث ان الناظر اليهِ لا يتمالك عن محبتهِ ولا عن الخوف منهُ تشعره مسدول على اكتافهِ وهو من قمَّة راسه الى اذنيهِ جوزي غامق وما بعدها اشقر فاتح لامع وقد فُرق عن قمة الراس على عادة اهالي الناصرة وجبهة هذا الرجل معقولة رائقة ووجههُ لا اخاديد فيهِ ولا بقع وشفتاه متناسبتان هندامًا ووضعًا

اما لحيتهُ فمن لون شعره وهي كثيفة غير طويلة وانما هي مشطورة شطرين وبصره حادّ يخضي بالخوف منهُ لان لهُ قوَّة شعاع الشمس لا يقدر احد ان يحدق اليهِ وحتى انت او وبخ اضى بالخوف والرهبة ولكنهُ لا ينتهي من ذلك حتى تتساقط دموعه ومع كونه صارمًا فهو محبوب لطيف

وقالوا انهُ ما شوهد قط ضاحكًا بل شوهد اكثر من مرَّة باكيًا وانامله كيديه ومنصبه جميلة والكل يرون في حديثهِ رقَّة وحلاوة وقلما يشاهد بين الناس فاذا فعل كان ذلك منهُ غاية الحشمة والوقار فان لهُ من المهابة والجلالة ما ليس لسواه من بني الانسان وهو في غاية الجمال ووالدته اجمل النساء التي شوهدت في هذا الارجاء

واذا اردت ياحضرة القيصر ان تراه كما كتبت لي بذلك قبلًا اخبرني وانا مرسله اليك ومع

كونهِ لم يدرس في مدرسة ولا تعلَّم علماً فهو عارف بكل العلوم يمشي حافياً مكشوف الرأس وكثيرون يضحكون من مرآه عن بعد ولكنهم متى دنوا منهُ خافوه واعجبوا بهِ وقالوا اعظم ما شاهدوا نظيره في هذه النواحي . وأُلحقُ على ما اثبتهُ اليهود انهُ لم يُسمع بتعاليم نظير تعاليم هذا الرجل حتى ان كثيرين من اليهود يقولون بانهُ الله

وقال لي بعضهم انهُ من اعدائك يا حضرة القيصر ولكن هؤلاء الاشرار مزعجون في كل شيء وقالوا انهُ لم يُرض في حياتهِ احداً من الناس والحال ان الامر بالعكس لان الجميع مرتاحون اليهِ ومهما كان من امرهِ فاني مستعد يا حضرة القيصر لاجراء كل الاوامر التي ترسلها لي بهذا الصدد

عن القدس بيبلوس لانتوليوس

ذلك هو الاثر العجيب الذي زعمت الليقانت انهُ اكتُشف في مكتبة الاباء العازاريين في رومية لكن الليقانت قد خُدعت بسراب ولو تروَّت او اعملت نظر الانتقاد في قول جريدة برودوس لعلمت انَّ هذه الرسالة من جملة التزويرات العديدة التي شاعت في ازمنة مختلفة لتعريف السيِّد المسيح لذكرهِ المجد ووصف شخصهِ الكريم وبيان معجزاتهِ . وكلّ هذه التآليف المصنوعة قد وضعها بعض الكتبة المجهولين الذين ارادوا ترويج بضائعهم المغشوشة فستروها باسماء قديمة من الأعلام او نسبوها الى كبار الرجال ظنًّا منهم انَّها تلقى بذلك حظوة وتزيد انتشاراً ولو اردنا ذكر قائمة هذه المصنَّفات لاتَّسع بنا الكلام وما يُعرَف منها اليوم يزيد على بضعة مجلَّدات منها عدَّة انجيل ورُؤًى ورموز يظهر كذبها لأوَّل وهلة وكأنَّها قد نفتها الكنيسة منذ قرون عديدة من جملة كتبها القانونيَّة واسفارها القدسيَّة كانجيل توما وانجيل يعقوب وانجيل نيقوديوس وانجيل الطفولية واعمال بيلاطوس . وليس في كثير من هذه التآليف شيء ينافي التعاليم المسيحيَّة ولعلَّها تتضمَّن بعض الروايات الصادقة نقلتها عن مصادر قديمة الَّا انَّ الكنيسة رذلتها لمجرَّد كونها مموَّهة مزوَّرة نسبت زوراً لهؤلاء المشاهير

*

وان وجَّهنا النظر خصوصاً الى الرسالة التي اذاعتها آخراً جريدة لسان الحال وجدناها كالتزويرات السابق ذكرها لا بل هي دونها شأناً لأنَّها احدث منها عهداً واظهر غلطاً مع شيوعها منذ امد مديد . ولنبدأ بذكر انتشارها

﴿ شيوع الاثر المزعوم ﴾ لا نعرف شيئاً من امر اكتشاف هذه الرسالة في مكتبة الاباء العازاريين في رومية وانَّما نعلم انَّ الرسالة المذكورة معروفة منذ عهد طويل

منها نسخ متعدّدة في خزائن المخطوطات في اكثر حواضر اوربة . وقد عدَّة هذه النُّسخ احد علماء الالمان يُدعى دوبشوتس في كتاب خصَّهُ بوصف التصاوير القديمة الممثّلة لهيئة السيد المسيح . وهذا التأليف طُبع في ليبسيك سنة ١٨٩٩ (E. Dobschütz : *Christusbilder*, 308-324) . أمّا الرسالة نفسها فمنشورة بالطبع منذ القرن الخامس عشر ابرزها اوّلًا احد الرهبان الكرتوزيين وهو لودلف الكرتوزي في ترجمة حياة السيّد المسيح التي طُبعت سنة ١٤٧٤ في مدينة كولونية . وظهرت بعد ذلك سنة ١٤٩١ في مقدّمات اعمال القديس انسلموس رئيس اساقفة كنتربري المطبوعة في نورنبرغ ثمَّ شاعت بعد ذلك شيوعًا كبيرًا واعتمدها بعض الكتبة كحجّة لتعريف احوال السيّد المسيح لذكره المجد ولتنويه بعظم مقامه لدى اهل زمانه

﴿ غشّ الرسالة واغلاطها ﴾ انَّ من تبيَّن الرسالة التي نحن في صددها وفحص عن اسم صاحبها وتروّى في مضامينها لا يلبث ان يتحقّق دون ادنى ريب بأنّها من الآثار المغشوشة الموهمة

١ (اسم صاحبها) والغلط الاوّل الذي يتبادر لذهن القارئ هو صاحب الرسالة الموقعة باسمه هذه العريضة . فانّهُ سواء دُعي « بيبليوس لانتوليوس » كما في جريدة لسان الحال او بالحري پوبليوس لنتولوس (Publius Lentulus) كما ورد في النُّسخ اللاتينيّة المخطوطة فانَّ التاريخ لم يذكر رجلًا بهذا الاسم تولّى اعمال اليهوديّة باسم الرومان في عهد المسيح . لأنَّ الحاكم الذي سبق بنطيوس بيلاطوس كان اسمهُ ڤاليريوس غراتوس وبقي في ولايته من السنة التاسعة الى السنة ٢٦ بعد المسيح ثمَّ خلفهُ بيلاطوس حالًا الى السنة ٣٦ اعني الى السنة الثالثة بعد موت الربّ (راجع مقالتنا عمَّا يفيدنا التاريخ عن بيلاطوس البنطي . في المشرق ٢ : ٣٢٩) . وزد على ذلك انّنا نعلم اسماء مشاهير الرومانيين الذي عُرفوا على عهد طيباريوس باسم لنتولوس وليس بينهم واحد سِتي پوبليوس . ولا شاهد لدينا يفيدنا عن مجيئهم الى بلادنا الشرقيّة فضلًا عن كونهم لم يتولّوا فيها اي عمل كان

٢ (لقب لنتولوس) وفي لقب لنتولوس كما ورد في هذه الرسالة دليل آخر على انّها مزيّفة فانَّ لنتولوس يُدعى فيها باسم غير معهود وهو « مقدّم الاورشليميين »

(Præses Hierosolymitanorum) وفي بعض النسخ يدعى نائبًا لقنصل اليهودية (proconsul Judææ) . واللقبان كلاهما غلط فانَّ اليهودية لم يكن لها مقدَّم او نائب قنصل وانَّما كان عامل اليهودية يُدعى حاكمًا (procurator) وكان تحت نظارة متولي سورية (præses, proconsul Syriæ)

٣ (وجهة الرسالة) وفي عنوان هذه الرسالة اختلاف ثالث يدلُّ على تزويرها وهو اسم الذي أُوفدت اليه الرسالة فانَّ اكثر النسخ لا تذكر ثيباريوس قيصر بل تذكر « ندوة الشيوخ والشعب الروماني »

﴿ مضمون الرسالة ﴾ وان اعتبرنا الرسالة عينها عثرنا في معانيها على ادلَّة جديدة تنبيْ بعدم صحَّتها نعدُّ منها بعضها

١ (اسم يسوع المسيح) لا يقبل العقل بانَّ كاتبًا وثنيًا يدعو يسوع « مسيحًا » ولم يُدعَ السيِّد بهذا الاسم الَّا بعد شيوع قيامته وصعوده وانتشار ديانته في اثر دعوة الرسل . وكذلك لا صحَّة لما ينسبهُ لنتولوس لتلاميذ المسيح بانهم يقولون عن يسوع « انهُ ابن الله خالق السماوات والارض وكلّ ما هو موجود » ونحن نعلم انَّ الحواريين لم ينشروا شيئًا من ذلك مدَّة حياة المسيح لا بل لم يدركوا هذه الحقائق الَّا بعد قيامة الرب

٢ (هيئة السيِّد المسيح) ما يُروى في هذه الرسالة عن مهابة السيد المسيح وجمال صورته ووصف ملامحه شاهد جديد على زور الرسالة فانَّ الكتبة الاوَّلين الذين ذكروا هيئة المخلِّص الظاهرة يؤكدون بانَّهم لا يعلمون شيئًا عن صورته عزَّ وجلَّ ولذلك ترى الآراء متباينة فمن الآباء كيوستينوس واوغسطينوس قد اكَّدوا بان المسيح كان ذليلًا حقيرًا واستندوا في زعمهم الى آية النبيّ حيث قال (اشعيا ٥٣ : ٢) : « لا صورة لهُ ولا بهاء فننظر اليه ولا منظر فنشتهيهِ » فكانَّهم خصُّوا بشخصه الكريم ما ورد في اشعيا عن وقت آلامه فقط . وقد ارتأى غيرهم كاوريجانس وايرونيموس ويوحنَّا فم الذهب خلاف هذا الرأي فأفتوا بجمال المسيح . فليت شعري لو كانت رسالة لنتولوس صحيحة كيف لم يُشرْ اليها احد الفريقين لاسيَّما انها كانت رسالة علنيَّة مشهورة

٣ (تفاصيل حياة السيِّد) انَّ من يتتبَّع تفاصيل اعمال السيد المسيح كما وردت في هذه الرسالة يجد في كلّ حرف منها حجَّة جديدة على نفيها وانكار صحَّتها . فانَّ الكاتب يستعير جهارًا بعض الفاظ وردت في الاناجيل المقدَّسة كقوله « ومع كونهِ لم

يدرس في مدرسة ولا تعلَّم علماً فهو عارف بكل شيء » اخذهُ من يوحنَّا (٧ : ١٥) : « وكان اليهود يتعجَّبون قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلَّم » . وكذلك قولهُ « انهُ لم يُسمَع بتعاليم نظير تعاليم هذا الرجل » منقول عن يوحنَّا (٧ : ٤٦) : « ما نطق انسان قطّ مثل ما يتطق هذا الرجل » . وزد عليهِ انَّ في لاتينيَّة الرسالة الفاظاً مغايرة للَّهجة المألوفة تدلُّ على انَّها مستعارة من لهجة ساميَّة كذكرهِ لبني الانسان او بني البشر

٤ (اختلاف النسخ) ونسخ هذه الرسالة لا تختلف فقط في عنوانها كما سبق بل تختلف ايضاً في صُورها فمنها ما هو اطول ومنها ما هو اقصر ويذكر البعض اموراً لا ذكر لها في غيرها . وناهيك بهذه الاختلافات سبباً موجباً لنبذ هذه الرسالة وقلَّة الاكتراث لمضامينها خلافاً لما كتبهُ احد المراسلين لصاحب لسان الحال في تاريخ ١ ايار ليؤيد صحتها

﴿ اصلها وزمن وضعها ﴾ بقي علينا ان نبحث عن اصل هذه الرسالة وزمن تأليفها فنقول : انَّ الكتب المزوَّرة التي اشرنا اليها سابقاً يُستدلُّ على اصلها اما بقدم مخطوطاتها او ترجماتها الى لغات شتَّى واما باشارة الكتبة الاقدمين اليها او ايضاً بفحص محتوياتها . ونرى من كل هذه الوجوه ان رسالة لنتولوس حديثة الوضع فانَّ اقدم نسخة تُعرَف منها تاريخها سنة ١٤٢١ م وهي في خزانة كتب كلية يانا (Iéna) وفي آخرها انَّها نُقلت عن مخطوط قديم في قصر الكابيتول اهداهُ بطريرك القسطنطينيَّة . فمن هذا القول يتَّضح انَّ الرسالة كُتبت في الاصل في بلاد الشرق وكانت كتابتها على الاصحّ في اللغة اليونانيَّة لغة البطريركيَّة القسطنطينيَّة ثمَّ نُقلت في القرن الخامس عشر الى اللاتينيَّة فانتشرت في كلّ انحاء اوربَّة

اما زمن كتابتها في اليونانيَّة فيصعب تحديدهُ وما لا ريب فيهِ انَّ وصف هيئة السيِّد المسيح كما ورد في هذه الرسالة يشبهُ الوصف الذي نقلهُ عدَّة كتبة من اليونان مثل القديس يوحنَّا الدمشقي في مياميرهِ عن الصور وصاحب كتاب المصوِّرين في جبل اثوس وتاريخ نيقيفور كالستس وكلّ هؤلاء يتَّفقون في رسم صورة السيِّد المسيح على مثال واحد وفقاً لصورة شاعت في الشرق وهي صورة ابجر صاحب الرها التي اثبتنا رسمها سابقاً في المشرق (٥ : ٥٦٠ عدد ٣) وهذه الصورة ورد ذكرها لاوَّل مرَّة في القرن السادس للمسيح فلا شكَّ ان الرسالة المنسوبة لبوبليوس لنتولوس كُتبت بعد هذا العهد ولعلها من القرن التاسع او العاشر والله اعلم